الفصل الثاني

اختيار الموضوع

١- الشروط التي تتوافر فيه

٢- آداب الأستاذ المشرف وواجباته

٣- آداب الطالب الباحث وواجباته

obeikandl.com

obeikandl.com

قالوا:

«يستحبّ للعالم، إذا علّم، ألاّ يعنّف، وإذا عُلّم ألاّ يأنف».

ابن عيينة

«عليك بالأستاذ في كلّ علم تطلب اكتسابه».

موفق الدين البغدادي

«ينبغي أن يلاحظ الباحث المبتدئ من أول الأمر أنّ عليه أن يختار بنفسه موضوع البحث الذي يروقه، وعلى الأستاذ المشرف أن يتحقّق من أنه يفعل ذلك».

د. حسن عثمان

«كبار الأساتذة يعترفون أن تسعين بالمئة من المعلومات التي تلقّوها في المدارس قد نسوها وذهبت هباء منثوراً، أمّا المنهج فظلّ في ذهنهم مدى الحياة، وكان سلاحهم القوي في مسارهم العلمي لاقتحام مجاهل المعرفة المتكثّرة، والمتنوّعة».

ث. م.

منهج البحوث

«اختيار موضوع الرسالة قد يبدو مهمّة شاقّة على الطالب، إذ إنه ربما ظنّ أن أهمّ الموضوعات التي تتصل بتخصّصه قد بحثت، ووضحت، والحقيقة أن هذه الفكرة لا تتّفق مع الواقع».

د. أحمد شلبي

obeikandl.com

obeikandl.com

تمهيد:

تحدّثنا في الفصل الأوّل عن البحث وأهميّته في الحياة الجامعيّة، وفي حياة الفرد، والأمّة، والحضارة، والإنسانيّة جمعاء. وفي هذا الفصل ننتقل إلى جوّ الجامعة والطلبة، لنتحدّث عن أهميّة الموضوع واختياره، وعن شروطه، ثم عن آداب الأستاذ المشرف، وسلوكه نحو الطالب، وآداب الطالب وواجباته نحو نفسه وعمله.

اختيار الموضوع[1]:

الطالب الباحث نفسه هو المسؤول الأوّل عن اختيار الموضوع، على أن يكون عمله بإشراف استاذه ومرشده الذي يجب أن يأخذ بيده، وأن يوجّهه الوجهة التي تتّفق وميوله، وعقيدته، وتتناسب مع اختصاصه، واستعداداته العلميّة، واللغويّة. كما يجب أن يراعي الطالب الباحث في اختيار الموضوع وفرة مادّته ومصادره، وطرافته وجدّته، وتحديده، ووضوح خطّته، وعدم تشعّبه.

آداب الأستاذ المشرف وواجباته:

في معظم الجامعات العالميّة يقوم الأساتذة بدور المشرفين والمرشدين إلى بحوث علميّة دقيقة مكتملة، على أن تكون الصلة بين الأستاذ المشرف والطالب الباحث صلة مودّة

(١) راجع أيضاً: علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، ص: ٦١ـ ٦٨.

ورحمة، صلة الأب الروحيّ، فيها كثير من اللطف والحزم، والمحبة، والتشجيع. كما أنّ المحاورة والمناقشة والمقابسة الحرّة تجعل الطالب الباحث مطمئناً إليه نفسيّاً، واثقاً به كلّ الثقة، بذلك يقبل الطالب الباحث على حبّ المعرفة، والمحافظة على النظام، والمثابرة على العمل، وعدم الضجر والملل والتعب.

وقد لفتني رأي إخوان الصفاء في المعلّم ومخاطبتهم طالب العلم بقولهم: «واعلم أنّ المعلّم والأستاذ أب لنفسك، وسبب لنشوئها، وعلّة حياتها. كما أنّ والدك أب لجسدك، وكان سبباً لوجوده. وذلك أنّ والدك أعطاك صورة جسدانيّة، ومعلّمك أعطاك صورة روحانيّة. وذلك أنّ المعلّم يغذّي نفسك بالعلوم، ويربّيها بالمعارف، ويهديها طريق النعيم، واللذّة، والسرور، والأبديّة، والراحة السرمدية. كما أنّ أباك كان سبباً لكون جسدك في دار الدنيا، ومربّيك، ومرشدك إلى طلب المعاش فيها، التي هي دار الفناء، والتغيير، والسيلان ساعة بساعة. فسل يا أخي أن يوفّق لك معلّماً، رشيداً، هادياً. . . . واعلم أيّها الأخ أنّ من سعادتك أيضاً أن يتّفق لك معلّم ذكيّ، جيّد الطبع، حسن الخلق، صافي الذهن، محبّ للعلم، طالب للحقّ، غير متعصّب لرأي من المذاهب»[1].

---

(١) رسائل إخوان الصفاء، ٤: ٥٠، ٥١.

أمّا ابن جماعة فقد فصّل في مؤلّفة، «تذكرة السامع»[1]، آداب الأستاذ العالم في تعليمه، وتجاه تلامذته. وممّا قاله في ذلك إنّه على الأستاذ أن يتطهّر من الخبث، ويتنّظف، ويتطيّب، ويلبس الثياب اللائقة بين أهل زمانه، ويجلس حيث يراه الجميع، ويعتدل بصوته، فلا يرفعه زائداً، ولا يخفضة زائداً، ويضبط مجلسه فلا لفظ ولا أصوات، فإذا ظهر من الطالب سوء أدب أو عدم إنصاف بعد ظهور الحقّ زجره، ولفته إلى ذلك.

وعلى الأستاذ أن يلازم الإنصاف، ويسمع السؤال مهما كان صغيراً من دون ترفّع عن سماعه، ويتروّى في الجواب، فإذا سئل عمّا لا يعلمه قال: «لا أعلمه»، أو «لا أدري»، فمن العلم أن يقول «لا أعلم»، أو «لاأدري». وقد قيل إنّ «لا أدري» هو نصف العلم. لذلك عليه أن يوّرث تلامذته «لا أدري» لكثرة ما يقولها، ولا يخاف السقوط في أعين السامعين.

وعلى الأستاذ أن يكون صبوراً، متّسع الصدر، مشجّعاً طالب العلم على السؤال، فلا يخافه، إذ إنّ قصد الأستاذ هو تعليم تلامذته، وتهذيبهم، وحثّهم على العلم، وترغيبهم في طلبه في أكثر الأوقات، ومتابعتهم للمعرفة، والبحث من دون ملل. وفي كلّ الحالات على الأستاذ أن

---

(١) راجع البحث.، ص: ٧٠ وما بعدها.

يحبّ لطالبه ما يحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه.

وعلى الأستاذ أن يكون عادلاً، رفيقاً بالطالب الذي أرهقه العلم والبحث، فيحثّه على تخفيف الاشتغال، أو ينصحه بتركه إذا وجد أنّه لا يقدر عليه.

وعلى الأستاذ أن لا يفضّل أحداً على أحد في مودّة، وفي اعتناء، واهتمام. فإن أظهر تكريماً وتفضيلاً لأحدهم في اجتهاد ونشاط ونباهة فلكي يكون قدوة للآخرين.

وعلى الأستاذ أن يسعى دائماً في مصالح الطلبة، وجمع قلوبهم، ومساعدتهم في جاه أو مال عند قدرته. وإذا غاب أحدهم سأل عنه، وعن أحواله. ويظلّ يخفض جناحه لهم ويلين لهم جانبه.

وقد يحدث، في بعض الحالات، أن يقف الأستاذ المشرف من الطالب موقفاً عدائياً غير مشجّع، يسبّب له خمود الهمّة، والتواني عن العمل، ورفض التعاون مع الأستاذ المشرف المعيّن. وللطالب الحقّ في رفع أمره إلى المسؤولين، لتبديل المشرف.

على أنّنا كمرشدين، ومشرفين، نستغرب مثل هذا الموقف يصدر عن علماء يتحلّون بفضائل العلم والتربية، يلمّون إلماماً كبيراً بنفسيّة الطالب، وهم بدورهم مرّوا بمراحل سابقة، هيّأتهم ليكونوا خير مشرفين، ومرشدين. لذلك لا يقف مثل

هذه المواقف إلا الأستاذ الذي فشل في حياته التعليميّة، وأخفق في تأدية رسالته التربويّه.

ونحن، وإن كنّا مشيرين إلى آداب المشرف وواجباته نحو الطالب في سبيل التذكير، إلا أنّنا على يقين أنّ الأساتذة المشرفين والمرشدين يدركون حقيقة ما نرمي إليه، وهم مقدّرون أثر هذه الآداب والواجبات وفعاليّتها في نفوس طلاّبهم. لأنّ الأستاذ الذي استطاع أن يكتسب ثقة الطالب واحترامه يقوم بدور المشرف، منزّهاً عن كلّ هوى، متجرّداً من كلّ غاية، لكي تقوم بينه وبين الطالب الباحث علاقة طيّبة، وصلة حميمة، واحترام متبادل، واجتماعات منظّمة، تعقد بينهما للمدارسة، والمباحثة، والمناقشة، والمقابسة[1].

كما أنّه لا يجوز أن يصدر عن الأستاذ المشرف إلاّ النّقد النزيه البنّاء. وعليه أن يتحلّى بالصّبر، وطول الأناة، وسعة الصّدر، فلا يظهر التبرّم بالطالب، أو السخرية من عمله مهما جاء هذا العمل ناقصاً. وعلى المشرف أن يبتعد عن فرض آرائه الشخصيّة على الطالب، وإن كانت هذه الآراء مصيبة في نظر صاحبها.

وهناك نقطة حسّاسة في علاقة الأستاذ المشرف بالطالب الباحث، فالمشرف، وإن كان مسؤولاً إلى حدّ ما عن بحث

(١) راجع: ابن جماعة، تذكرة السامع، ص: ٨٣ ـ ١٠٢.

الطالب، وما قام به، إلا أنّ الطالب وحده هو المسؤول الأوّل والأخير عن بحثه، وعن نجاحه أو فشله، فلا يجوز، والحالة هذه، أن يلقى الطالب اللوم، في حالة فشله، على عاتق أستاذه المشرف، ليتخلّص من المسؤوليّة، ولكنّنا نستبعد أن يقف الأستاذ المشرف موقفا سلبيّاً من بحث الطالب من دون تنبيهه إلى فشل أو ضعف، كما نستبعد أن يصل الطالب الجامعيّ إلى رحلته العلميّة هذه، ويفشل في أيّ بحث جديّ يقوم به.

آداب الطالب وواجباته:

وكما للأستاذ آداب في نفسه، ومع تلامذته، كذلك للطالب آداب في نفسه، ومع أستاذه. وقد تفوّق في القرن الرابع عشر للميلاد (القرن الثامن للهجرة) ابن جماعة العالم، والمربّي، والقاضي، في مصنّفه تذكرة السامع، بتسجيل آرائه، وملاحظاته الدقيقة في العالم والمتعلّم، أو الأستاذ والتلميذ، فجاء كتابه سابقاً للمربّين في عصرنا هذا، بطريقة تثير الدهشة والتقدير.

ومن آداب الطالب في نفسه[1] أن يطهّر قلبه من كلّ غشّ، وغلّ، ودنس، وحسد، وسوء خلق لكي يكون مستعداً لقبول العلم، وحفظه، والاطلاع على دقائق معانيه، وحقائق معانيه وغوامضه. وعلى الطالب أن يكون حسن النيّة في طلب العلم،

---

(١) راجع: تذكرة السامع، ص: ١٠٧ ـ ١٣٩.

وعليه أن يبادر إلى التحصيل أوقات عمره، ويقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة، المانعة من تمام الطلب، وبذل الاجتهاد والجدّ في البحث، وفي طلب العلم، وأن يقنع باليسير من القوت واللباس، فبالصبر على ضيق العيش إن كان معسراً، ينال سعة العلم، ويقسّم أوقاته، ليله ونهاره، ولايكثر من الطعام، إن كان ميسوراً، لأنّه «من أعظم الأسباب المعينة على الاشتغال، والفهم، وعدم الملال أكل القدر اليسير من الحلال»[1].

قال الشافعيّ: «ما شبعت منذ ست عشرة سنة. وسبب ذلك أنّ كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب. وكثرة الشرب جالبة للنوم، والبلادة، وقصور الذهن، وفتور الحواسّ، وكسل الجسم»[2].

وعلى الطالب أن يتحرّى الحلال في المطعم، والشراب، واللباس، والسكن، متجنّباً عشرة السوء، ومخالطة من لا يفيده. وعليه أن لا يقلّل من نومه، ولا يزيد على ثماني ساعات. ويمارس المشي ورياضة البدن.

وبالجملة فلا بأس على الطالب أن يريح نفسه وقلبه، وذهنه، وبصره. فإذا كلّ شيء من ذلك أو ضعف، تنزّه، وتفرّج في المتنزّهات، بحيث يعود إلى حاله، ولا يضيع أوقاته.

---

(١) تذكرة السامع، ص: ١١٠.

(٢) م.ن.

وكما أن الأستاذ المشرف بحاجة إلى اكتساب ثقة الطالب ليطمئنّ إليه، ويقوم ببحثه بلذّة وفائدة، كذلك على الطالب أن يبذل جهده في معالجة الموضوع الذي اختاره بمساعدة الأستاذ، أو من دون مساعدته، على أن يكون لديه فكرة واضحة، وهدف واضح، وخطّة واضحة قبل أن يباشر الاتّصال بالمشرف. كذلك عليه أن لا يخاف من معلوماته القليلة عن الموضوع. لأن المعرفة تزداد وتنمو وتتّسع بالمطالعات، والقراءات، والرغبة المستمرّة في البحث. وقد عرفنا طلاّباً كثيرين ممّن بدأوا يعالجون مواضيعهم بخوف ورهبة، ولكنّهم ما لبثوا حتّى فتحت أمامهم أبواب كثيرة، وتوصّلوا إلى استنتاجات قيّمة، جعلتهم يعترفون بأنّ تجربة البحث هي من أعظم لذّات المعرفة في الحياة الجامعيّة، وأشدّها فائدة، لأن معظم المعلومات التي يتلقّاها الطلاّب يتلاشى مع مرّ السنين. أمّا المنهج فيلازمهم مدى الحياة. هذه الحقيقة يعترف بها كبار الأساتذة، ورجال العلم عندما نقرأهم يتحدّثون عن حياتهم المدرسيّة، إذ يعترفون أن تسعين بالمئة من المعلومات التي تلقّوها في المدارس قد نسوها، أمّا المنهج فظلّ في أذهانهم مدى الحياة، وكان سلاحهم القويّ في مسارهم العلميّ لاقتحام مجاهل المعرفة المتكثّرة والمتنوّعة.

وبعد أن يختار الطالب موضوعه برغبة واهتمام، يعدّ له العدّة. ويتسلّح بالأمانة، والنظام، والمثابرة على العمل،

متعاوناً مع الأستاذ المشرف ليسهّل عليه الاطلاع على ما يقوم به، فيتقيّد بالمواعيد التي يعيّنها له المشرف، ويحافظ على تقديم ما يجب تقديمه من الواجبات من دون تأخير ولا مماطلة. أمّا الواجبات فتختلف باختلاف المنهج الذي يتبعه المشرف، أو الحقل الذي يختصّ به. وهناك أساتذة مشرفون يقرأون ما يكتبه الطالب فصلاً فصلاً، أو يقرأونه مسوّدة كاملة دفعة واحدة. على أنّنا، بعد اختبار طويل، وجدنا أنّ الطريقة التي نتبعها في توجيهنا، هي أكثر فائدة، وأضمن نجاحاً للطالب في حياته البحثيّة، وهي: أن يجزّأ البحث إلى أبواب وفصول، يعالج الطالب منه فصلاً فصلاً، يناقشه مع المشرف، ثم يقدّم باباً تاماً، وهكذا حتّى تكتمل أبواب البحث وفصوله. وفي هذه الأثناء، على الطالب أن يتلقّى النقد بصدر رحب، ورغبة أكيدة في تحرّي الحقائق، وتحسين خطّة البحث، شرط أن يكون النقد بنّاء، يدفع الطالب إلى التقصّي الدقيق، والتفكير الحرّ، وإلى احترام كلّ رأي، وكلّ سؤال يوجّه إليه أثناء المناقشة، على أن يتذكّر الطالب دائماً أنّه المسؤول الوحيد عن بحثه، كما ذكرنا سابقاً. ومثل الأستاذ المشرف كمثل شرطي السير يوجّهه، ويصوّبه إذا ارتكب خطأ، بيد أنّه غير مسؤول إذا وقع على الرصيف، أو حطّت به عجلات العربة! وإنّما نأمل أن يجنّبه السقوط.